القيم الأخلاقية عند الأطفال بين الفطرة والاكتساب

Children's moral values between instinct and acquisition

Dr. Abdul Majid
Assistant Prof. Faculty of Arabic (Part time)
IIU - Islamabad
E-mail: majidafzal95@gmail.com Orcid: https://orcid.org/0000-0001-7617-032X

Dr. Hafiz Muhammad Badshah
Assistant Prof. Arabic Department
NUML - Islamabad
E-mail: mbadshah@numl.edu.pk Orcid: https://orcid.org/0000-0003-0159-0674

Abstract

A society does not straighten and flourish except by the good values that are instilled in the hearts of its children during their various stages of development. Likewise, there is no single source from which a child can derive moral values. There is the environment surrounding the child and the peoples, at home, at school, people in his practical life, and the means of communication, and religious and educational teachings, which in general have a great role in instilling moral values, and influencing his behavior, which will inevitably be reflected later on society in general.

A child is born with clear and forthright morals, and common sense, but they often change according to what he lives, suffers, and is taught in the family, school, and society, and each age stage he goes through has a great impact on shaping his personality and highlighting his values, and that is related to the people he deals with, as he will be biased towards those who look like him. And according to what was affected by it, even if he did something contrary to the original and instinct upon which he was created.

Keywords: *Children, development, education, morals, values, personality, society.*

مقدمة

لا يستقيم مجتمع ولا يزدهر إلا بمقدار القيم الحسنة، التي تغرس في نفوس أبنائه خلال مراحل تطورهم المختلفة، كذلك لا يوجد مصدر واحد يمكن أن يستمد منه الطفل القيم الأخلاقية، فهناك البيئة المحيطة بالطفل والإنسان، في البيت، ثم المراحل الدراسية، والحياة العملية وبيئتها، ووسائل التواصل، والتعاليم الدينية والتربوية، التي وبشكل عام لها دور كبير في غرس القيم الأخلاقية، والتأثير على تصرفاته التي ستنعكس ولا بدّ لاحقا على المجتمع بصورة عامّة.

يولد الطفل بأخلاق واضحة وصريحة، وفطرة سليمة، لكنها غالبا ما تتغير تبعا لما يعيشه ويعانيه ويلقنه في الأسرة والمدرسة والمجتمع، ولكل مرحلة عمرية من المراحل التي يمر بها أثر كبير في تكوين شخصيته وإبراز قيمه، وذلك مرتبط بالأشخاص الذين يتعامل معهم، فهو سيتحيز لمن يشبهه، وعلى ما تأثر به، حتى لو افتعل أمرا مغايرا للأصل والفطرة التي جُبل عليها.

مفهوم القيم:

القيم هي: "معيار لمعرفة الصالح من الفاسد، وهي تختص بالحياة الإنسانية بالذات، ولا يعرفها الحيوان".(١)

كذلك هي: "صفات ومعانٍ قد تكون فكرية أو سلوكية، وهي ذاتية وثابتة ومطلقة، لا تتغير باختلاف من يصدر الحكم عليها".(٢)

تعريف القيم:

القيم: "جمع قيمة، وهي التقويم وإزالة الاعوجاج".(٣)

أما بالنسبة لمفهوم الأخلاق وتعريفها فهناك أنهر من التعاريف، كلّها تصب في نفس البحر، وهو المدى والتفاوت ما بين القبيح والحسن.

وعند جمعنا لمفهومي القيم والأخلاق، يمكننا أن نعرف القيم الأخلاقية بأنها:

"مجموعة من القيم الموجهة للطفل، ومجموعة من الخبرات التربوية والسلوكيات الوجدانية التي يجب أن يكتسبها الطفل بتميزه وتعقله، إلى أن يصبح شابا قادرا على مواجهة صعوبات الحياة".(٤)

القيم الأخلاقية تاريخيا: يعتبر الفكر الأخلاقي من أقدم الأفكار الإنسانية، بحيث لا يسبقه إلا الفكر الديني الذي هو قديم قدم الإنسان نفسه، فمن النادر أن ينطلق التفكير الأخلاقي بمعزل عن المعتقدات الدينية.(٥)

الأخلاق عند الفلاسفة القدماء

سقراط: كان سقراط يؤكد على الطابع الكلي للضوابط والمفاهيم الأخلاقية، وفي مسألة ما هو الخير وعلى ما يقوم الأعلى بالنسبة للإنسان، يتبين ذلك فيما يسميه سقراط: المنفعة الأخلاقية، وكان يعتبر الروح والجسد جزءين مختلفين من الإنسان الحي.(٦)

أفلاطون: كان يرى في الجمال مراحل أو أنواعاً، من الجمال الجسدي إلى الجمال الأخلاقي، ومن الجمال الأخلاقي إلى جمال المعرفة، حتى من المعرفة بمختلف أنواعها يصل المرء إلى المعرفة العليا التي يكون هدفها الوحيد هو ذلك الجمال المطلق، ويعرف الجمال المطلق أخيراً.

القيم الأخلاقية دينيا:

لا يمكن فصل القيم الأخلاقية عن القيم الدينية بأي حال من الأحوال، أيا كان الدين السماوي، فلا يوجد دين أو عقيدة سماوية إلا وتشجع على تنمية الأخلاق وتهذيبها.

قال تعالى مادحاً نبيه المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيْمٍ﴾.(٧)

وقد قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".(٨)

فالأخلاق في الإسلام لها قيمة بالغة، ويتضح أن المفهوم الإسلامي للأخلاق يتميز عن المفهوم الفلسفي لها بأن الأخلاق في الإسلام منهج عملي وليس نظري فقط.

بناء على ما سبق، ونظرا لأهمية هذا المفهوم الواسع؛ أقدم هذا البحث، وأتوسع فيه وفق محورين:

المحور الأول: هل القيم الأخلاقية فطرية، أم مكتسبة؟ مع تجارب حول معرفة القيم الأخلاقية الفطرية والمكتسبة.

المحور الثاني: علم النفس ونمو الطفل وتأثيره في بناء الشخصية، وفيه ثلاثة مطالب:

١. علم النفس ونمو الطفل من مرحلة الرضاعة لعمر السنتين.

٢. علم النفس ونمو الطفل من عمر ٢-٥ سنوات.

٣. علم النفس ونمو الطفل خلال الطفولة المتوسطة ٦-١٢سنة.

المحور الأول: هل القيم الأخلاقية مكتسبة أم فطرية؟

هل القيم الأخلاقية وُلدت معنا أم نتعلّمها ونستنتجها؟ إذا عاش الإنسان فوق جزيرة مهجورة منذ الطفولة هل سيكذب ويسرق؟ وهل سيتعلم احترام الوالدين واحترام الآخرين؟ هل يأتي الطفل إلى العالم وفي داخله بذور قيم أخلاقية؟

الفطرة اصطلاحاً: هي الْخِلقة التي يكون عليها كل موجود أَوّلَ خَلْق، و**الفِطْرَة**: الطبيعة السليمة التي لم تُشَب بعَيْب: ما ركَّزه الله في الإنسان من قدرة على معرفة الإيمان.(٩)

الفطرة لغةً: كلمة عربية تعني: "الخِلْقة" أو "الصِّبْغة" التي خلق الله عليها الإنسان. يمكن للكلمة في السياق الصوفي أن تعني: الحدس أو البصيرة. الكلمة مشابهة لمصطلح الإحساس الرباني.

الذكاء والإحسان وكل الصفات التي تكوّن معنى الإنسانية، هي جزء من الفطرة.

الفطرة فلسفيا: الفطرة في الفلسفة تعني: أن العقل البشري لا يولد كصفيحة فارغة، بل يولد حاملا معه أساس المعرفة الفطرية والبديهية، والتي تتطور مع الخبرة المكتسبة.(١٠)

حتى قبل تحديد المواقف المتنافسة حول الفطرة، يمكننا أن نرى بالفعل مقدمة للنقاش في نظريات المعرفة المتعارضة لفلاسفة ما قبل سقراط إمبيدوكليس وأناكساغوراس، إذ رأى الشاعر إمبيدوكليس، الذي تكهن بأن الواقع هو نتاج دورات متكررة من الحب والصراع ، أن الإحساس والإدراك وحتى الحكمة؛ هي مسألة معرفة "المثل بالمثل".(١١)

منافسه أناكساجوراس رأى أن "الإدراك من خلال الأضداد" تتمثل إحدى طرق قراءة هذه الأجزاء الغامضة في رؤيتها كرمزٍ لطريقتين مختلفتين من التفكير في العقل.

بالنسبة لإيمبيدوكليس: العقل مصنوع للعالم، يدرك العقل الواقع؛ لأنه مضبوط مسبقًا على العالم ويتوافق معه.

بالنسبة إلى أناكساغوراس: يجب على العالم أن يثير إعجابنا؛ لتشكيل عقولنا غير المشوهة في شكلها.

الفطرة عند رينيه ديكارت: أكثر ما يهمنا في فلسفة ديكارت هي دعواه المتعلقة بالأفكار الفطرية، فلقد قامت فلسفة ديكارت على أساس نقده وثورته على ما كان سائدا قبله

(وهو ما يسمى بالشك المنهجي)، محاولا شق مجرى جديد للفكر، جاء في كتابه تأملات ميتافيزيقية ما يلي:

"ينبغي لنا، كي نقيم العلوم في حياتنا، أن نرفض كل آرائنا القديمة، وأهم ما يجب التشكيك فيه هو القواعد الثابتة".(١٢)

ومن أهم ما يجب التشكيك فيه وتحرير العقل وتطهيره منه –حسب ديكارت– هو معطيات الحواس، فالقاعدة الثالثة من التأمل الأول هي أن هذه المبادئ، هي الحواس التي لا يمكن الوثوق بها؛ لأنها خداعة، وهو بهذا يقرّ بأن هناك نوعا من الأفكار لا دخل للحواس في صنعها، كما لا يمكن الشك فيها، وهي الأفكار الفطرية، ليعلن أن العقل هو أعدل الأشياء قسمة بين الناس.

ويقر ديكارت بأن هذا العقل الذي وزّع بين الناس بالفطرة لم يوجد فارغا، لينتظر ما تجود به التجربة عليه، بل وجد مزودا بجملة من الأفكار.(١٣)

لا بد من وجود أساس بيولوجي للموضوع، في عدة أمور في الحياة، من ضمنها: موضوع القيم الأخلاقية. فمثلا الأصوات المستخدمة في اللغات المنطوقة فطرية، بقدر القدرة على إصدار تلك الأصوات وسماعها وإدراكها بشكل قاطع هي من الناحية البيولوجية. لكن لم تتطور هذه القدرات كي تتحول للغة. ويمكن للطيور أن تدرك أصوات الكلام البشري، ويمكن التمييز بين اللغات المختلفة استخدام المسلمات للدفاع عن الفطرة، وبالمثل يجب أن يُظهر المتعصب للأصل الأخلاقي:(١٤)

(أ) أن هناك المسلمات الأخلاقية.

(ب) أنه لا يوجد تفسير معقول غير أصلي لها.

(ج) تتطلب آلية فطرية خاصة بمجال الأخلاق.

تجارب حول القيم الأخلاقية الفطرية والمكتسبة في العصر الحديث:

إن كنا نريد أن ندرك إن كانت القيم الأخلاقية فطرية؛ فلا يمكن معرفة الإجابة عن كل هذه التساؤلات إلا بالتجربة، والسبب ببساطة: عدم قدرة الطفل على الكلام والتعبير خلال سنوات حياته المبكرة.

لذلك قام العالم بول بلوم والعالمة كارين وين – وهما زوجان ولهما العديد من الأبحاث والكتب المتخصصة بعالم الطفل – بتجارب مهمة حول التساؤلات السابقة، من هذه التجارب:

التجربة الأولى:

عرض العالمان على الأطفال شكلا هندسيا، تحاول دائرة ما أن تتجاوزه صعودا، ثم يأتي شكل هندسي آخر لمساعدتها وهو المربع (المساعد)، بينما شكل هندسي آخر يحاول إعاقتها في الصعود، وهو المثلث.

قام العالمان بإظهار التجربة أمام أطفال بعمر الثلاثة أشهر، وأطفال بعمر الستة أشهر، وطرحا خيار الانتقاء بين شكلي المربع (المساعد) والمثلث (المعيق) عليهم، فكانت النتيجة: ٨٠ % من الأطفال بعمر الثلاثة أشهر اختاروا الشكل المساعد، و١٠٠٪ من الأطفال بعمر الستة أشهر اختاروا الشكل المساعد أيضا.

إن هذه التجربة تدل على محبة الطفل للمساعدة فطريا، أي: أن هذه القيمة الأخلاقية موجودة لدى الإنسان بالفطرة.[١٥]

التجربة الثانية:

كانت تهدف لإظهار مبدأ العدل عند الأطفال بعمر عشرة أشهر، حيث قام العالمان ببرمجة لعبة تقوم بتوزيع قطع ملونة مثلا بشكل عادل على مجموعة من الشخصيات، ولعبة أخرى تقوم بتوزيع القطع ذاتها، لكن بشكل غير عادل.

ثم عرضت اللعبتان على الأطفال لاختيار إحداهما، فاختار الأطفال اللعبة التي توزع القطع بشكل عادل.

وهنا أيضا استنتج العالمان من خلال هذه التجربة أن قيمة العدل كقيمة أخلاقية موجودة عند الأطفال بالفطرة.

(لو طُلب من طفلٍ توزيع خمس قطع حلوى على طفلين، سيقوم بإعطاء كل طفل قطعتين ورمي القطعة المتبقية، بعدالة واستحقاق).[١٦]

إذاً الطفل ليس عنصريا، رغم محبته للأشخاص الذين يشبهون والديه باللون والعرق.

في تجربة أجرتها العالمة كارين وين ونشرتها العربية، توصلت لاستنتاجات مهمة في هذا الإطار.

في التجربة عُرضتْ على الأطفال لعبتان:

الأولى- كانت تقدم قطع حلوى بشكل عادل.

والثانية- كانت تقدم قطع الحلوى بشكل غير عادل.

اختار الأطفال اللعبة التي تقدم الحلوى بشكل عادل، رغم أن اللعبة الأخرى التي توزع الحلوى بشكل غير عادل كانت تقدم لهم كمية أكبر من الحلوى.

ملاحظة: بعد عدد معين من زيادة قطع الحلوى قد يفكر الطفل بتغيير اختياره.

إذاً الطفل قبل سن الثلاث سنوات يكون ذو فطرة سليمة وخيّرة.[١٧]

ولكن ما الذي يغيّر تلك الفطرة مستقبلا؟ الواقع إن هذه الفطرة لا تتغير تلقائيا، بل تبعا للبيئة المحيطة وللتربية ولطبيعة الأشخاص المحيطين بالطفل.

في كل التجارب السابقة كان الطفل مراقبا ومتفرجا، ولم يكن طرفا في التجربة.

القيم الأخلاقية تبدو سهلة جدا، طالما الشخص موجود خارج التجربة أو المشكلة، لكن الواقع هو المحك، وهو الذي يصقل الشخصية ويبلورها، ويُظهرها في المجتمع، ليصبح الشخص مستقبلا خيّرا أو فاجرا أو مستقيما أو مرتشيا... وغيرها من الصفات.[١٨]

في تجربة الأطفال فوق سن الثلاث سنوات، تقوم العالمة بجعل لعبة تختار نفس نوع الحلوى التي يحبها الطفل، ولعبة أخرى تختار نوع آخر من الحلوى، في هذه الحالة يقوم الطفل باختيار اللعب التي تحب نفس نوع الحلوى التي يحبها.

هنا تبدأ الاختيارات عند الطفل تقوم حسب النوع، أنه بدأ بعملية التصنيف، تبعا لأمر يحبه هو، بغض النظر عن أي صفة أو قيمة متعلقة بأي مبدأ، أي: بدأ تأثره بالبيئة والأشخاص وتبدأ بتكوين مفاهيم قائمة على المصلحة المتعلقة بالشخص أو الشيء.

تجربة أخرى:

اللعبة نفسها التي تحب قطع الحلوى والتي يحبها الطفل وتحاول فتح الصندوق، ثم تأتي لعبة أخرى، مرة تحاول مساعدتها في فتح الصندوق، أي: لعبة تساعد ولعبة تعرقل، ثم تأتي باللعبة التي تحب النوع المختلف من الشوكولا.

وتأتي لعبة لمساعدتها في فتح الصندوق، ولعبة أخرى تعيقها في فتح الصندوق، في هذه الحالة:

أحب الأطفال اللعبة التي تعرقل، رغم حبهم المساعدة والعدل وكره المختلف عنهم.(١٩)

هذه التجارب تقود للاستنتاج بأن الطفل قبل عمر الثلاث سنوات يمتلك قيماً فطرية سليمة، حتى لو كان سيحصل على فائدة أكبر باتباع الأسلوب غير العادل.

المحور الثاني: علم النفس ونمو الطفل

بعد بحثنا في المحور الأول، بإمكاننا الاستنتاج بأن الدور الأكبر في نمو نفسية الطفل وشخصيته وبالتالي قيمه الأخلاقية، ينبع من العوامل المحيطة والمؤثرة، بعد أن يتجاوز مرحلة الفطرة والتلقائية، لذلك سأبحث في هذا المحور عوامل نمو شخصية الطفل، وبالتالي قيمه، بناء على تشكل شخصيته، وهذا ما درسه علماء النفس بالتفصيل، عبر العديد من الدراسات والتجارب، في كافة الجوانب المتعلقة بالطفل.

النمو من مرحلة الولادة حتى عمر السنتين:

يعتد النمو في هذه المرحلة على ما يتعلق بالنمو الجسماني، وتحقيق متطلبات النمو، بحيث تنمو الأعضاء، ويزداد الوزن، وتبرز الأسنان، ويبدأ الطفل بالمشي.

قد نستغرب بأن الطفل يبدي عمليات يرغب بها بالاستقلالية منذ الأشهر الأولى من عمره، فمثلا: كنوع من الاستقلالية عن والدته قد يرفض الرضاعة ويبصق الحليب، أو يرفض ارتداء الملابس ... وهذا يؤثر على أعصاب الأم، ويجعلها تتعامل بانفعالية وصراخ أحيانا، وهنا

يبدأ الطفل بتعلم استخدام بعض التعابير اللغوية للتعبير عن نفسه ككلمة (لا) كتعبير عن الشخصية.

وتبدأ مراحل تشكل الثقة بين الطفل ووالديه في السنة الثانية، حين يبدأ بفعل ما تفعله أمه أو ما تطلبه منه، ويبتعد عما تنهيه عنه، وتسمى هذه الفترة بفترة (المريلة) نسبة لتمسك الطفل بلباس أمه.

ويجب الانتباه بأن هذه الفترة يجب أن لا تتجاوز عمر السنتين، وإلا ستصبح لاحقا دلالة على مشكلة نفسية، فإذا استطاعت الأم تكييف ذاتها باتجاه الاستمرار بتقديم الرعاية للطفل بحب واهتمام، بحيث تساعده على أن يكون (شخصا) مستقلا في المستقبل، وليس شخصا اتكاليا عليها؛ فستكون المرحلة الأولى مرت بصورة مُرضية وجيدة.[٢٠]

النمو العضوي والعقلي من السنة الثانية حتى الخامسة:

يختلف هذا النمو عن مرحلة الرضاعة، فمن الناحية العضوية يكون النمو من حيث الطول والوزن أقل من المرحلة السابقة، رغم وجود فوارق فردية بين طفل وآخر، وبين الذكر والأنثى في هذا الموضوع.[٢١]

في هذا العمر تبدأ الإمكانات الحركية بالظهور، مثل: عمليات تسلق السلالم، الأشجار، ركوب الدراجات وقيادتها، ومناوبة القدمين.

كذلك تبدأ الإمكانات الفنية بالظهور، مثل: اللعب بالألوان، إمساك القلم والفرشاة، اكتساب مهارات فنية كالعزف والرقص.

إن هذا التطور يكتسبه الطفل وفق معايير للتفاعلات الحركية:

المعيار الأول: فعالية تنمية المهارات عند الطفل، ويسمى (فرز المعلومات)، ويتم بناء على التلقين والتدريب على الفعالية بشكل مستمر وتصحيحه، حتى تتم المهارة.

المعيار الثاني: هو معيار (المقام)، ويقوم الطفل باكتساب مهارة، بناء على مهارة حركية موجودة، ولكن الطفل يقيم تخطيطات معيارية لمختلف أنماط المهارات الحركية، فيتم تعديل مهارة قديمة واستبدالها بمهارة جديدة.

ويترافق النمو اللغوي بالتطور مع المعايير والمهارات الحركية، حيث ينمو العقل ويزداد الإدراك والذاكرة والتعلم.(٢٢)

وقد وضعت لهذه المرحلة تقاويم ومقاييس لقياس التناسقات والمهارات الحركية والإدراكية التي يمتلكها طفل ما بين الثانية والخامسة، أهمها مقياس (ستانفورد – بينيه)، وهو مقياس نفسي وليس عضوي، يسأل الأطفال الأولاد عبر اللوح ذي الثقوب الثلاثة: وضع مربع ومثلث ودائرة، كل في ثقبه المناسب، ويسألون في رائز آخر، بعد فترة من الانتظار، الأولاد لإيجاد شيء خبئ تحت واحد من ثلاثة أشياء، الأمر الذي يجعله أداة لاختبار قدرة الصغار على التذكر.

توضع بنود الروائز في مستويات خاصة من العمر، طبقا لعدد الأولاد في العينة التعبيرية، الذين أصابوا إجابة كل بند.(٢٣)

هناك مقاييس أخرى لقياس المستوى العقلي وذكاء الطفل، مثل: مقياس شتاينر:

$$\text{معامل الذكاء} = \frac{\text{العمر العقلي}}{\text{العمر الزمني}} \times ١٠٠$$

ويوجد أيضا مقياس فسكلر للذكاء، يقوم على استخدام مقياس نقطي يقوم بتحويل النقاط لمعاملات ذكاء.

هذه المقاييس أدت إلى استنتاجات متعلقة بالنمو النفسي والعقلي للطفل بناء على ثلاثة نقاط.

١. **السببية الظاهرية:** يفترض الطفل أن هناك علاقة سببية بين الأشياء التي تحدث معه، فحين يخاف يختبئ تحت الغطاء، فيتوصل إلى أن الغطاء حماه من الأذى، أو يرفض الطعام بسبب إصابته بالمرض قبل يوم من تناوله، فيتوقع أن الطعام هو الذي أمرضه وهذا ما يسمى بالاستدلال العبري.

٢. **الإحيائية:** يقوم الطفل بالاعتقاد بأن الأشياء الجامدة حية، إذ إنه يحس بالألم والحرارة والبرد؛ فيتوقع أن الشجرة والحجر تتضايق من البرد، وأن للألوان مشاعر، وليس له قدرة على تفهم موضوع الموت.

٣. **الغرضية:** يعتقد الصغار أن كل شيء بالعالم صنعه الإنسان لهم، فالشمس للتدفئة، والفراشات تختبئ كي لا تأكلها العصافير.

في هذه المرحلة يبدأ الطفل بطرح الأسئلة بصورة كبيرة، وعلى البالغين إيجاد الأجوبة المناسبة لهم دائما، بما يتناسب مع قدراتهم للفهم وتصورهم للعالم من حولهم. وللنقاش وقراءة القصص، وممارسة الهوايات سوية دورٌ كبيرٌ في تربية الطفل وزراعة القيم في داخله.(٢٤)

العلاقة مع الأشقاء:

إن قدوم الأخ الجديد قد يكون حادثا مدمرا لحياة أبناء ما قبل المدرسة، وخاصة الولد البكر الذي سبق وتمتع بملكية كاملة من انتباه الوالدين، يتم التعبير عن الانزعاج بصورة مباشرة، عبر ملاحظات بريئة، أو الرغبة بإزاحة الطفل الجديد من الأسرة، وفي حالات أخرى يتوقف عن فعل بعض المهارات المكتسبة، حيث يعود للزجاجة بعد أن يقوم قد استخدم الملعقة لفترة طويلة، أو يوسخ فراشه بعد أن يكون قد سيطر على مثانته، وغالبا ما يكون الحل الأمثل للأهل أن يعمدوا لدفع الولد الكبير للمشاركة بقرارات الإعداد لاستقبال أخيه والمساعدة في العناية به وإمساكه. (٢٥)

التفاعل مع الأقران:

إن الأولاد في عمر الثانية يحبون اللعب مع أقرانهم بصورة أكبر من اللعب مع الراشدين حسب (تجربة العالمة أكرمن)، أما في السنة الرابعة والخامسة وما فوق يميلون للعب مع أقرانهم دون اهتمام بالراشد.(٢٦)

للعب أهمية كبرى في نمو شخصية الطفل قبل المدرسة، فالأطفال الذين يحرمون فرصة اللعب يضيعون تجربة تعلم اجتماعية، وتقل ثقتهم بذواتهم سواء في الأسرة أو في الخارج، وقد بيّن العالم جيفرسون أن هناك علاقة بين كمية المساهمة الاجتماعية وبين ظاهرة التفاعل مع الأقران، في هذه المرحلة يكون ضبط الطفل وتربيته وتحسين سلوكه وتعليمه السيطرة على الذات؛ بصيغة الثواب أو بصيغة العقاب؛ ليدرك الطفل في هذه المرحلة ما هو مسموح؟ وما

هو غير مسموح؟، ويبدأ بإدراك الأمور الاجتماعية والطريقة الصحيحة والجيدة للتعامل مع الآخر.(٢٧)

النمو العضوي والعقلي والنفسي في مرحلة الطفولة المتوسطة (من ٦ إلى ١١ سنة):

في هذه المرحلة العمرية بدءا من السادسة تنمو الذراعان والساقان بصورة أكبر من الجذع، وتميل البنات للنضج أكثر من الصبيان.

إن حجم الطفل ووزنه وطوله أمر صعب التنبؤ به خلال هذه الفترة، فالطفل يمكن أن يكون كبيرا أو صغيرا مقارنة بأقرانه.

أما بالنسبة للمهارات الحركية، فتتطور باتجاه القدرة على القراءة والكتابة واللعب الجماعي، من القفز ولعب الكرة، تتسم هذه المرحلة بالسرعة في زمن الاستجابة الحركية.

في هذه المرحلة يكوّن الطفل عن ذاته مفاهيما تتعلق بتصوره لجسمه أو شخصيته كتلميذ أو كرياضي أو كشخص.. ويبدأ بإدراك مفهوم السلبي والإيجابي، وأين يكون هو جيدا وإيجابيا؟ كالعزف مثلا، ومتى يكون ضعيفا أو سلبيا؟ كلعب الشطرنج مثلا.

في عمر التاسعة وما فوق يتوسع إدراكه العقلي، ويبدأ بتنظيم المعلومات الإدراكية بصورة منطقية، بصورة واسعة لتشمل الأعداد والعمليات الحسابية والتمييز بين المواد العلمية ومفاهيمها.

إن النمو الإدراكي للطفل في هذه المرحلة عبّر عنه العالم بياجيه بظاهرة دعيت ظاهرة (الانتشار) حيث يميلون للتركيز في الميزات المسيطرة لمنظومة المثير، فتدرك مجموعة النقاط كخط مستقيم، ويملأ الفراغ في المربع طبقا لمبدأ (الإغلاق والاستمرار).(٢٨)

عمليات التواصل والذاكرة:

في هذه المرحلة تبدأ عمليات التواصل بالبروز، ويدرك الطفل من خلال التعلّم عملية الإنصات والكلام، تبعا للمواقف والأشخاص.

في هذه المرحلة من المهم أن يستخدم الطفل الذخيرة اللغوية التي استقاها ممن حوله والجمل والترابط اللفظي بينها.

أما ما يتعلق بالذاكرة تبرز في هذه المرحلة عملية إدخال أو أخذ المعلومات التي تكون قد دخلت في العقل خلال سنوات عمره، ليبدأ بعدها بفرزها وتنظيمها وتصنيفها خلال المرحلة العمرية المتوسطة؛ لأن الخزن والاحتفاظ والتنظيم يزداد في هذه المرحلة، وقد أثبتت الكثير من التجارب والدراسات ذلك.(٢٩)

نمو الشخصية الاجتماعية في المرحلة المتوسطة:

هي فترة هامة في مرحلة الطفولة؛ لأنها امتداد على ما تربى عليه في أسرته وبين دخوله المدرسة، ومن ثم الانتقال لمرحلة المراهقة التي تؤهله للاستعداد لممارسة دور الراشدين مستقبلا بمسؤولية.

هذه الفترة هي فترة الدخول إلى المدرسة، هي فترة مجابهة التحديات والتخلي عن الاتكالية والاعتماد على الأهل، حيث يتم الحكم عليهم ليس بناء على العاطفة، بل بناء على التصرفات والحسنات والسيئات.

إن السياسة التربوية للمدرسة لها أثر كبير في تشكيل الاتجاهات والشخصية والقيم الأخلاقية للطفل، ولكن يختلف الأطفال في عملية الاستجابة لظروف المدرسة، فالأطفال الكسالى وحدهم محدودي الموهبة أو متوسطيها يميلون للانغلاق تجاه الفعاليات المدرسية.

لذلك من المهم جدا في السياسات المدرسية مراعاة إمكانات وشخصية الأطفال كلهم، واستخدام الأساليب الممتعة والجاذبة خصوصا في عملية تلقين المناهج أو قراءة القصص القادرة على ربط الواقع بالحياة التي يألفها الصغار، حيث يدرك الطفل أن الواقع ليس كما يذكر في القصص من سعادة أبدية وطيبة، بل أن هناك فقرا وجوعا ومعاناة وحرمانا وخيانة وتعصبا وبطالة.

وتتصارع الطرق التقليدية والطرق الحديثة في التربية فيما بينها، حيث يسعى المدرسون التقليديون نحو التعليم المجرد، واتباع الأنظمة الصارمة الذي يدفع للإنجاز والمنافسة وإتقان العمل.

أما المنهج الحديث فيقوم على التجريب، والحوار، وإثارة الخيال، والفضول لاستكشاف الإمكانات المدفونة في داخل كل طفل.

حيث يقرأ المعلم مع التلاميذ، ويتقرب منهم بدلا من التعامل الفوقي، وهذا ما جعل عملية التعليم تجربة مثيرة وناجحة لدى الطفل.

كل ما سبق بالإضافة للجو الأسري وطريقة تعامل الوالدين مع الطفل بأسلوب قائم على الحوار الصحي حول كل نواحي الحياة: (الاقتصادية والاجتماعية والمهنية...) أيضا هو أساس لخلق طفل سوي، قادر مستقبلا على التمتع بالشخصية المتزنة مع الأخذ بالاعتبار مسألة الفروق الطبقية وأثرها النفسي على الطفل، سواء في المدرسة أو البيت، بحيث يجب عدم التقليل من قيمة أطفال الطبقات المحرومة أو التي تعيش في أحياء فقيرة.[٣٠]

الخاتمة

يولد الطفل بأخلاق واضحة وصريحة، وفطرة سليمة، لكنها غالبا ما تتغير تبعا لما يعيشه ويعانيه ويلقنه في الأسرة والمدرسة والمجتمع، ولكل مرحلة عمرية من المراحل التي يمر بها أثر كبير في تكوين شخصيته وإبراز قيمه، وذلك مرتبط بالأشخاص الذين يتعامل معهم، فهو سيتحيز لمن يشبهه، وعلى ما تأثر به، حتى لو افتعل أمرا مغايرا للأصل والفطرة التي جُبل عليها.

الهوامش *References*

(١) المانع، مانع بن محمد علي: القيم بين الإسلام والغرب، ١/ ١٥، دار الفضيلة – الرياض، ط/١، ٢٠٠٥م.

(٢) مجموعة مؤلفين: مجلة البحوث الإسلامية، ص: ٢٧١.

(٣) مقال الفطرة والإيمان بالله، صحيفة المدينة، ١ يناير ٢٠١٤م، انظر: https://www.al-madina.com/article/٢٧٦٤٠٢

(٤) القيم بين الإسلام والغرب، ١/ ١٥.

(٥) مجلة البحوث الإسلامية، ص: ٢٧١.

(٦) ثابت، خولة: مصادر القيم في الفكر الإسلامي عابد الجابري نموذجا، ص: ٦٣، رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، ٢٠١٥م.

(٧) سورة القلم، ٦٨/ ٤.

(٨) البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو العتكي: مسند البزار (البحر الزخار)، تحقيق: عادل سعد، ١٥/ ٣٦٤، ح رقم: ٨٩٤٩، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط١/ ٢٠٠٩م.

(٩) عمر، د. أحمد مختار: المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، ص: ٣٥٦، مؤسسة التراث – الرياض، ط/١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

(١٠) الجبوري، عماد الدين: من سلسلة رحلة مع الفلاسفة في علم الأخلاق، إعداد: الإندبندنت عربي، ١٣ مايو ٢٠٢١م.

(١١) *Cartesian Linguistics: A Chapter in 9661 the History of Rationalist Thought*, New York: Harper & Ro.

(١٢) ديكارت، رينيه: تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، ترجمة: كمال الحاج، ص: ٢٥، الناشر عويدات – بيروت، ١٩٨٨م.

(١٣) زقزوق، د. محمود حمدي: المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، ص: ١٩٩، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٣م.

(١٤) Is morality innote للكاتب Jesse JPrins

(١٥) أصول الخير والشر، Pool Bloom

(١٦) دراسة أعدّتها Karen Wynn ونشرتها جامعة يال في الولايات المتحدة الأميركية.

(١٧) دراسة نشرتها CNN العربية، في ١٣ شباط ٢٠١٤م.

(١٨) The nature of child للكاتب جيروم كانمان.

(١٩)أبحاث Karen Wynn لجامعة يال الأميريكية.

(٢٠) علم نفس الطفولة، ايلكونين .د.ب، موسكو، ١٩٦٠م.

(٢١) الشخصية وتكوينها في الطفولة، بتروفسكي. ل.أ، موسكو، ١٩٦٨م.

(٢٢) علم نفس الطفولة والمراهقة، د. مالك مخول، جامعة دمشق، ٢٠٠٤م.

(٢٣) مقال د. موسى نجيب موسى معوض على موقع الألوكة للتربية والتعليم:.https://www.alukah.net/social/٠/٦٦٤١

(٢٤) الشخصية وتكوينها في الطفولة.

(٢٥) الصحة النفسية (دراسة في سيكولوجية التكيف)، د. نعيمة الرفاعي، ٢٠٠٣م.

(٢٦) علم نفس الطفولة والمراهقة.

(٢٧) الصحة النفسية (دراسة في سيكولوجية التكيف).

(٢٨) .١٩٦٦ The Psychology of the child, Book by Bärbel Inhelder and Jean Piage

(٢٩) علم نفس الطفولة والمراهقة.

(٣٠) المرجع نفسه، الصحة النفسية (دراسة في سيكولوجية التكّيف).